ورود الناسخ الحرفي (لعلّ) في القرآن الكريم

د. محمد السر محمد علي

أستاذ مساعد بقسم النحو والصرف معار بالمملكة العربية السعودية

المقدمـة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على النبيّ الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن التآليف والتصانيف في لغة التنزيل بجميع مستوياتها (نحواً وصرفاً ودلالة وبياناً) تتوالى وتزدهر لا تتأخر - بحال - عن التآليف في علوم القرآن الأخرى كالتفسير والفقه والقراءات ، بل تتحد معها وتأتلف مبرزة منزلة القرآن العظيمة الكامنة في مبناه ومعناه ، فلا غرو – والأمر كذلك – أن تتبارى الأقلام وتُعمل العقول وتُشحذ الهمم في استجلاء كنه هذه العظمة ، وبيان ضروب ذلك الإعجاز في هذا النظم الفريد . ونحسب ـ يقيناً ـ أن كل دراسة إنما تشرف بارتباطها بالقرآن العظيم ، لا سيما إن كانت تؤصّل للغة بربطها بمنبعها الأصيل الصافي ، وإني لأرجو أن تكون هذه الدراسة ((ورود الناسخ الحرفي " لعلّ " في القرآن الكريم دراسة تأصيلية في النحو والدلالة)) من الإضافات النافعة في هذا الباب.

أهمية الدراسة :

إن أهمية هذه الدراسة تبرز في البحث عن أسرار عظمة هذه اللغة داخل سياقها الأصيل " النص القرآني " تأكيداً لحقيقة أن النّص القرآني يستوعب كل قضايا اللغة ، الأمر الذي يحتم على دارس القرآن الإلمام بلغته على اختلاف مستوياتها ليتدبره كما ينبغي .

أما مشكلة البحث:

فتكمن في الأسئلة الآتية :

أ- هل للناسخ الحرفي "لعلّ " خصوصية تميزه عن بقية النواسخ الحَرفية ؟

ب- كيف عُلّلت دلالة الرجاء لـ "لعلّ" في القرآن الكريم ؟

ج- ما الفرق بين ورود " لعلّ" في الشعر العربي وبين وروده في النص القرآني؟

أما هدفُ هذه الدراسة :

فينصب في الإسهام في قضية التأصيل لهذه اللغة ، وذلك بربطها بالنص القرآني تقييساً ، وتقعيداً ، واستشهاداً ، وذلك حفظاً لتراث هذه الأمة من الضياع بربطه بالنص القرآني الذي تكفل المولى عزّ وجل بحفظه .

وقد تضن هذا البحث مقدمة حوت (أهمية البحث ، ومشكلته وأهدافه) ثم عولجت موضوعات هذا البحث في مباحث خمسة على النحو التالي :

المبحث الأول : تركيب "لعلّ" واللغات فيها .

المبحث الثاني : معاني "لعلّ" ودلالاتها .

المبحث الثالث : عمل "لعلّ"

المبحث الرابع : خبر "لعلّ"

المبحث الخامس : لعلّ وإفادة التعليل في القرآن الكريم وفيه مسألتان

المسألة الأولي : "لعلّ" بمعني "كي" في وسط الآي من الذكر الحكيم

المسألة الثانية : إفادة "لعلّ" التعليل في فواصل الآيات .

والذي يجب أن يؤكد في هذا المقام أن المعالجة في كل هذه المباحث إنما كانت في ضوء النص القرآني وهذا ظاهر في عنوان الدراسة ومتنها .

المبحثُ الأوّلُ
تركيب "لعلّ" واللغات فيها

جاء في اللسان (..... لعلّ كلمة شك وأصلها علّ ، واللام في أولها زائدة ، قال مجنون بني عامر: يقول أناس علّ مجنون عامر.. يروم سلوّاً قلت أنّي لما بيا[1] ... وهي كلمة رجاء وطمع وشك ، وقد جاءت في القرآن بمعنى كي...)[2]

"ولعلّ" من حروف المعاني الرباعية فهو ـ بذا ـ ليس على الأصل في نوعه ، فأشبه بهذه الزيادة الأسماء وهو شبه وضع .

ومذهب أكثر النحويين أن "لعلّ" حرف بسيط، وأن لامه الأولى أصلية .

وقيل هو حرف مركب ولامه الأولى لام ابتداء ، وقيل زائدة لمجرد التوكيد ، بدليل تركها وقولهم : (علّ) في " لعلّ" ، وهذا مذهب المبّرد وجماعة من البصريين وابن جنّي [3]. وأنشدوا قول الشاعر: [4]

([1]) انظر ديوان مجنون ليلي ، برواية أبي بكر الوالبي ، دراسة وتعليق : يسري عبد الغني ، منشورات : محمّد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1420 هـ ص 125 .

([2]) انظر لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل جمال الدين ين منظور الأنصاري ، (ت : 711هـ) دار صادر ، بيروت ، ط،1414هـ ، 607/11 (لعل) .

([3]) المقتضب ، محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، أبو العباس المبّرد (ت: 285هـ) تحقيق : محمّد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، 73/3 ، وانظر : الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت : 392هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 4 ، 317/1 .

([4]) البيت ورد بلا نسبة في الخصائص 317/1 ، وانظر : اللسان (لمم) ، وأنشده الفراء دون عزو في معانيه ، 235/3 ، وورد البيت شاهداً على أن "لعلّ" حرف جر في شرح شافية ابن الحاجب ، لمحمد بن الحسن الرضي الاستراباذي (. 686هـ) تحقيق وضبط : محمّد نور الحسن

علّ صروف الدهر أو دولاتها يدلننا اللمة من لماتها

أما الكوفيون فعندهم " اللام " الأولى في "لعلّ" أصلية ؛ لكونها حرف ، وحروف الجر كلها أصلية ، وكون اللام من الحروف التي لا تزاد إلا شذوذاً في كلمات معدودة من تلك التي تقبل الزيادة كالأسماء والأفعال ، فكيف يحكم بزيادتها فيما لا يجوز فيه الزيادة بحال وهو الحرف ، وقد رجّح صاحب الإنصاف رأي الكوفيين في هذه المسألة بعد إيراد حجج الفريقين في كلام مطوّل ، معللاً حذفها في الأشعار لكثرة استعمالها فيها ، وحذفها أولى من حذف العين ، إذ تجتمع ثلاثة أمثال إن حُذفت العين .(1)

ويدعم كلام ابن الأنباري في ترجيح رأي الكوفيين في هذه المسألة أمور منها:-

أولا : حذف حرف من الكلمة لا يعدّ ـ بحال ـ دليلاً على زيادته فيها ، فالأصول تحذف أحياناً .

ثانياً: كون (علّ) لغة في "لعلّ" وهو أمر ثابت ، فاللغات في "لعلّ" اثنتا عشرة لغةً منها (علّ).

ثالثاً : زعمُ البصريين أنّ ثبوت اللام في "لعلّ" يخرجها من أوزان الفعل الرباعي(فعلل) فليس بحجة ، فلعلّ حرف والحروف أوزانها قدّ لا تطابق أوزان الأفعال ، وإلا فما وزن "إلّا " مثلاً ؟ فهي خارجة عن أوزان الثلاثي التي حددها البصريون (فَعَل وفَعُل وفَعِل) ، وخارجة ـ كذلك ـ عن وزن الرباعي (فعلل) .

رابعاً : أنّ (لعلّ) لم تأت ـ على الإطلاق ـ (علّ) في أفصح كلام عرفته البشرية

وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1395هـ ، 129/4 والشاهد فيه (علاًّ) ، إذ الأصل فيه "لعلّ" و "يدلننا" من : أدالنا الله من عدونا إدالة وهي الغلبة ، واللمة : الشدة .

([1]) لمزيد من الإيضاح في هذه المسألة يُنظر : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لعبد الرحمن بن مُحَمَّد بن عبد الله الأنصاري ، أبي البركات ، كمال الدين الأنباري (ت:577) المكتبة العصرية ، ط 1 ،1424هـ ، 181/1.

وهو كلام الله تعالى ، فقـد وردت "لعلّ" في التنزيل (ثلاثاً وثلاثين ومئـة) مـرةٍ كلها " لعلّ " بخـلاف الشعر فالتجُوز فـــي الشـعر بابــه واسـع بسبب الأوزان . وبذا يصبح حكم " الزجاجي " بأنّ "الام لعلّ " في أولها مزيـــدة بإجماع النحويين [1]محل نظر .

والذي يمعن النظر في " لعلّ " خاصّة دون سائر أخوات (إن) يجد أنها لا تلحقها نون الوقاية (لعلني) إلا نادراً، ولما كان القصد التأصيل للأقيسة والقواعد النحوية بربطها بمنبع الفصاحة الأصيل (القرآن الكريم) الذي يأتي نظمه - على الدوام- وفق أقوى الوجوه في المسالة، يصبح غير مستغرب عدم ورود "لعلني" ملحقة بنون الوقاية في كل القرآن جرياً على الوجه النادر الذي حكاه النحاة، بل كلها (لعلّي) -بغير نون- نحو قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [2]. ومثل ذلك (لعلّي) في الآيات: (10)من سورة طه و (29) من سورة القصص، و(36) من سورة غافر، و (100) من سورة المؤمنون.وفي "لعلّ" لغات منها: (لعلّ و علّ، ولعنّ، وعنّ ولأنّ، وأنّ، ولغَنّ، وغنّ، وعنّ ، ولعلتّ...) [2]. وقد ورد من هذه اللغات في الشعر (علّ) ومنه البيت الذي ورد آنفاً:

([1]) انظر : اللامات ، لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي الزجاجي ، أبو القاسم (ت 337) تحقيق مازن المبارك ، دار الفكر ، دمشق ط 2 , 14405هـ ، ص 135 .

([2]) سورة يوسف ، الآية : 46.

[2]انظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المصري المالكي(ت: 749) تحقيق ، فخر الدين قباوة ، والأستاذ : محمد نديم فاضل ، ط 1 ، بيروت 1412هـ ، 582/1 .

علّ صروف الدهر أو دولاتها يدلنا اللمة من لماتها [3]

كما ورد منها "لعنّ " في قول الفرزدق :

ألستم عائجين بنا لعنا نرى العرصات أو أثر الخيام[4]

ولم ترد في القرآن الكريم من هذه اللغات عدا (لعلّ) ، اللهم إلا ما جاء من قراءة الفتح في (أنّها) من قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [1]وقرئت بالكسر " إنها " [2]

فمن قرأ بالفتح (أنها) جعل الخطاب للمؤمنين ، فكأنه قال : لعلها إذا جاءت لا يؤمنون ، قال سيبويه : ((وأهل المدينة يقولون (أنّها) فقال الخليل هي بمنزلة قول العرب : ائت السوق أنّك تشتري لنا شيئاً ، أي لعلك....) [3] .

ومن قرأ بالكسر فعلى الابتداء والكلام تم عند قوله : وما يشعركم ، وقيل أن "لا" في " لا يؤمنون" مع فتح همزة (أنّها) إنما هي لتأكيد الجحد كما قال : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [4] وهو قول ابن زنجله [1].

---

[3] انظر ص 3 من هذا البحث والقول عن زيادة "لام" لعلّ

[4] البيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها هشام بن عبد الملك ، انظر ديوان الفرزدق 835شرح وضبط وتقديم : الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ،1407هـ ، ص 667، وانظر : اللامات للزجاجي ص 136 ، والإنصاف في مسائل الخلاف 182/1

[1] سورة الأنعام الآية :109

[2]) قرأ " إنها " بالكسر ابن كثير ، وأهل البصرة ، وأبو بكر عن عاصم ، وقرأ الآخرون بالفتح " أنها " ، انظر : حجة القراءات ، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن زنجلة (ت: 403هـ) تحقيق : سعيد الأفغاني دار الرسالة 565/1 ، وانظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن ، للإمام أبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد البغدادي (ت : 510(هـ تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 1420هـ ، 151/2 .

[3]) انظر : الكتاب ، لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر (ت : 180 هـ) ، تحقيق : عبد السلام مُحَمَّد هارون مكتبة الخانجي القاهرة ، ط 3 1408هـ 123/3

[4]) سورة الأنبياء الآية : 95 .

وذكر الزجاجي أنّ من شواهد سيبويه على مجيء "أنّ" المفتوحة بمعني : " لعلّ" قول الشاعر :

قلتُ لشيبان ادنُ من لقائه أنّا نغدّي القوم من شوائه [2]

أي " لعلنا " نغدي .

المبحث الثاني

معاني " لعلّ " ودلالاتها

أوردت المصنفات في حروف المعاني دلالات " لعلّ " وأشهر هذه المعاني وأكثرها شيوعاً " الترجّي " نحو: لعلّ الله يرحمنا ، والإشفاق نحو: لعلّ العدو يقدم، والفرق بينهما ظاهر ، قال سيبويه (وإذا قلت " لعلّ " فأنت ترجوه أو تخافه في حال ذهاب) [3].

ولما كانت هذه الدراسة تؤصل للنحو بربطه بكتاب الله عز وجل فلا بد من وقفه عند هاتين الدلالتين لـ "لعلّ" في القرآن الكريم، إذ يبرز السؤال المهم وهو: هل يجوز الترجّي والإشفاق في حق الله عزّ وجل ؟ قال الراغب: (لعلّ: طمع وإشفاق، وذكر بعض المفسرين أنّ لعلّ من الله واجب ، وفسّر في كثير من المواضع بـ " كي)[4].

ومن هنا تظهر تأويلات المفسرين واللغويين ومعربي القرآن في نحو قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [5].

فجلّة أهل التفسير واللغة أنّ تأويل هذه الآية ونحوها يكون بصرف معنى " لعلّ " إلى المخاطب ، أي أنّهم عدّوا الإشفاق والرجاء ـ في ذلك ونحوه ـ منسوباً إلى

([1]) انظر حجة القراءات 266/1 .

([2]) البيت ورد في (اللامات) للزجاجي من غير عزو 137/1 ، ولم أعثر عليه في كتاب سيبويه ، ورده الطبري إلى أبي النجم العجلي انظر : تفسير الطبري ، جامع البيان لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، أبي جعفر الطبري (ت / 310هـ) تحقيق | د.عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط 1 ، 1422هـ ، 487/9.

([3]) الكتاب لسيبويه 148/2 .

([4]) انظر : المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : 502هـ) تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار العلم ، الدار الشامية ، دمشق – بيروت ، ط 1 – 1412هـ ، 741/1 .

([5]) سورة طه الآية : 44

الذي يدور بصدده الكلام ، و " لعلّ " في الآية إطماع لموسى -عليه السلام- مع هارون أي فقولا له قولاً لينا راجيين أن يتذكر، قال سيبويه (... اذهبا أنتما في رجائكما وطمعكما و مبلغكما من العلم ....) [1]

وتوسع المبّرد وهو يعرض لقوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾[2] في نفي ما لا يليق إثباته للذات الإلهية من نحو أبنية التعجب والتفضيل ، قال : (... ولا يقال لله عزّ وجل تعجب ولكنه خُرج على كلام العباد أي هؤلاء ممن يجب أن يقال فيهم ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك الوقت، ومثل هذا قوله: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ الآية و "لعلّ " إنما هي للترجي ولا يقال ذلك لله ولكن المعنى - والله أعلم - اذهبا أنتما على رجائكما وقولا القول الذي ترجوان به ويرجو به المخلوقون تذكر من طالبوه) [3].

ومن دلالات " لعلّ " عدا الترجي والإشفاق مستنبطاً من النصوص مجازاً -

إن جاز التعبير - الاستفهام وهو معنى قال به الكوفيون وتبعهم ابن مالك وجعل منه ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰ ﴾ [4]، وقول الرسول (ﷺ) لبعض الأنصار وقد خرج إليه مستعجلاً " لعلنا أعجلناك " [5].

والبصريون يرون غير ذلك والآية - عندهم - ترجّ ، والحديث إشفاق [6] وعلى مذهب الكوفيين يكون تقدير الكلام في الآية : وما يدريك أيزكي ؟ وفي الحديث : أأعجلناك ؟

([1]) الكتاب لسيبويه 331/1.

([2]) سورة مريم ، الآية :38

([3]) المقتضب : للمبرد 183/4.

([4]) سورة عبس ، الآية 3

([5]) الحديث ورد في صحيح البخاري ، باب : من لم ير الوضوء إلا من المخرجين ، الحديث رقم 180 ، 47/1 ، وفي صحيح مسلم باب ، إنما الماء من الماء ، حديث رقم 345 / 269/1 .

([6]) انظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ، أبو محمد جمال الدين بن هشام (ت: 761هـ) تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 316/1 ، وانظر : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، علي بن محمد بن عيسى ، أبو الحسن نور الدين الأشموني (ت : 900 هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1419هـ 297/1 وانظر : شرح التصريح على التوضيح ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر الجرجاوي الأزهري (ت : 905 هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 – 1421 هـ ، 296/1 .

والدليل على كون " لعلّ " للاستفهام في هذا المقام جواب الأنصاري على كلام الرسول ـ ﷺ ـ بقوله : نعم . وما قيل في الآية ' والحديث يمكن أن يقال في قوله تعالى : ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ [1] إذ التقدير :..... لا تدري أألله يحدث بعد ذلك أمراً ؟ ومن ذلك ما جاء في تفسير الطبري أنّ قوماً حملوا " لعلّ " في قوله تعالى: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [2] على الاستفهام أي ، اذهبا لعله يتذكر أي ، هل يتذكر أو يخشى ؟[3].

وكذا قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾ [4] إذ لا يحتمل الكلام هنا على التوقع ، لأنّ توقع ترك التبليغ لا يليق بمقام النبوة ، كما لا يصلح الترجي في هذا المقام ، فحمله بعضهم على الاستفهام ، قال القرطبي: (.... فالكلام معناه الاستفهام، أي ، هل أنت تارك سبّ آلهتهم كما سألوك ؟ ....) [2]وعدّه بعضهم من الاستفهام الاستنكاريّ وهو جيّد [5].

وإجراء الكوفيين " لعلّ " مجرى " هل " حمل أبا حيّان على القول بأنّ " لعل " من المعلقات لأفعال القلوب، وعدّ قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾منه [6]. فقال : (فكما يقع التعليق عن هل كذلك عن لعل) [7].

([1]) سورة الطلاق ، الآية : 1

([2]) سورة طه ، الآية : 44

([3]) انظر : تفسير الطبري ، جامع البيان ، بتحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط 1420هـ ، 313/18-314

([4]) سورة هود ، الآية : 12

([2])انظر : تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (ت: 671هـ) تحقيق أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط 2 ، 1384 هـ ، 12/9.

([5]) انظر : إعراب القرآن وبيانه ، محي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : 1402 هـ) ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ، حمص دار اليمامة ، دمشق. بيروت ، ط 4 – 1415هـ ، 325/4 .

([6]) سورة الأحزاب ، الآية : 63

([7]) انظر: البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (. : 754 هـ) ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت 1420هـ ، 474/7 .

ويدخل في هذا الباب ـ قياساً على ما سبق ـ ما جاء من " لعلّ " عقب أفعال الدراية والعلم من نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[2]. قال صاحب الدُر المصون: (الظاهر أنّ لعلّ في هذه الجملة معلّق لأدري ، والكوفيون يجرون الترجي مجري الاستفهام)[3]، وذكر أن النحويين لا يعدون " لعلّ " من المعلّقات مع ظهور تعليقها هنا ، وكأنه ـ بذا ـ يناصر شيخه أبا حيان في القضية .

و " لعلّ " بمعنى الظنّ لم أقف عليه إلا عند صاحب اللسان قال : (وتكون ظناً كقولك لعلّي أحجُ العام ، ومعناه ، أظنني سأحجُ كقول أمري القيس ، لَعَلَّ مَنايانا تَبَدَّلْنَ أَبْؤُسا)[4].

ومما ذكر من دلالات " لعلّ " إفادتها التشبيه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾[5] وفي دلالة " لعلّ " وجوه كثيرة في هذه الآية إذ احتملت أغلب وجوه دلالات " لعل " غير أن الاتفاق حول إفادتها التشبيه ، كان ظاهرا ، فبعد أن ذكر أبو حيان بعضاً من معاني "لعلّ" ـ عدا التشبيه ـ استدرك قائلاً :(أو يكون المعنى يشبه حالكم حال من يخلد ، فلذلك بنيتم واتخذتم)[6] ، ويعضد وجه التشبيه في"

([1]) سورة الشورى ، الآية : 17.

([2]) سورة الأنبياء ، الآية : 111.

([3]) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم ، المعروف بالسمين الحلبي (ت : 756 هـ) ، تحقيق : د. أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق 217/8-218 .

([4]) البيت من الطويل ، وصدره : (وبدلت قرحاً داميا بعد صحةٍ) ، والبيت في الديوان (فيا لك من نُعمي تحولن أبوسا) انظر ديوان امرئ القيس ، ضبط وتصحيح الأستاذ / مصطفى عبد الشافي ، منشورات : مُحَمَّد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 5 ، 1425هـ ، ص 87 ، وإن صحت رواية الديوان فلا شاهد ؛ وانظر لسان العرب 474/11 ؛ وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك 224/1 ، وانظر : خزانة الأدب ولباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت : 1093 هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام مُحَمَّد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1418 هـ ، ط 4 ، 331/1 .

([5]) سورة الشعراء ، الآية : 129.

([6]) البحر المحيط ، لأبي حيان 178/8 .

لعلّ " في هذه الآية قراءة أُبي:(كأنكم تخلدون) [1]ونص كثير من المفسرين واللغويين والنحاة على إفادة " لعلّ " التعليل ، حتى أنّ بعضهم ردّ جميع ما في القرآن من " لعلّ " للتعليل[2].

وقد رأيت أن أعالج هذا الموضوع [إفادة لعلّ التعليل] في المبحث الأخير من هذه الدراسة بشيء من التفصيل والتوضيح ، لأهميته – بحول الله تعالى ـ

المبحث الثالث

عمل " لعلّ "

تعمل " لعلّ " عمل " إنّ " وأخواتها بذات الشروط وهو عكس عمل " كان " وأخواتها ، أي ، نصب الأوّل اسماً لها ورفع الثاني خبراً لها وهذا مذهب البصريين ، أما الكوفيون فلا يرون لها عملاً في الخبر وإنما هو باقٍ على رفعه الذي كان له قبل دخول هذه النواسخ .

وعلة عمل " لعلّ " وأخواتها النواسخ في الاسم والخبر قوة مشابهة " لعل" وأخواتها النواسخ للفعل (لفظاً ومعنى) ، فهي على وزنه ، وبنيت على الفتح كما الفعل ، واختصت بالاسم كما الفعل ، وتدخلها نون الوقاية مثله ، وفيها معنى الفعل ، فمعنى " لعلّ " ـ مثلاً ـ [ترجيت] ، فلما كان للفعل مرفوع ومنصوب كان لها مرفوع ومنصوب ، وقّدم منصوبها على مرفوعها ؛ لكون عملها فرعاً وتقديم المنصوب على المرفوع فرع ، وليعلم أنّها ليست أفعالاً مثل (كان وأخواتها) ، وإنما هي حروف أشبهت الأفعال[3].

ولئن كانت عّلة عمل (إنّ وأخواتها) لمشابهتها الفعل ـ كما تقدم ـ فإنّ هذه العلة تقوى في " لعلّ " ؛ لأنها تشبه أفعال الرجاء والمقاربة (عسى وأخواتها) ، ويظهر شبه " لعلّ " بتلك الأفعال ـ في القرآن خاصة ـ في كون أخبارها لم ترد إلا جملاً عدا خمسة مواضع وسنعالج ذلك عند الحديث عن خبر لعلّ .وقد حمل النحاة (

([1]) انظر : معاني القرآن ، لأبي جعفر النحاس ، أحمد بن مُحَمَّد (ت : 338 هـ) تحقيق : مُحَمَّد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة 1409هـ ، 93/5 ، وانظر : معالم التنزيل ، للبغوي 474/3 ، وانظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت : 538 هـ) ، 326/3 ، وانظر : البحر المحيط ، لأبي حيان 178/8، وانظر : البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي) ت : 794 هـ) تحقيق : مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ، ط ، 1376 ، دار إحياء الكتب .

([2]) البرهان ، للزركشي 394/4

([3]) الإنصاف في مسائل الخلاف ، لأبن الأنباري 145/1

عسى) على " لعلّ " في أمرين :

الأوّل : الجمود وعدم التصرف ، قال ابن جني وهو يتحدث عن عدم تصرف عسى:(إنما منعت التصرف لحملهم إيّاها على لعلّ) [1].

الثاني: العمل، حيث حملوا (عسى) العاملة عمل (كاد) على " لعلّ " في العمل فنصبوا بها الاسم ورفعوا الخبر ، وذلك إذا اتصلت بضمير النصبنحو (عساكا) ومنه قول الشاعر :

ولي نفسٌ أقول لها إذا ما تنازعني : لعلي ، أو عساني [2]

وتعليل اتصال ضمير النصب بـ(عسى) هو مذهب سيبويه قال:" فلو كانت الكاف مجرورة لقال (عساى) ولكنهم جعلوها بمنزلة " لعلّ " [3] .

وكما حملت (عسى) على " لعلّ " فقد أجاز قوم إعمال " لعلّ " بدخول (ما) الحرفية عليها حملاً على (ليت)؛ لاشتراكها في أنهما يغيران معنى الابتداء ، ولكونهما للإنشاء وهو الأمر ـ ذاته ـ الذي جعلهم ينصبون جواب " لعل " إجراءً لها مجرى (ليت)، ويظهر ذلك في قراءة النصب في (فأطلعَ) [4] من قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾[5].

فقد لمح في " لعلّ " معنى التمني من قرأ (فأطلّعَ) وهو مذهب الكوفيين في نصب جوابها حملاً لها على (ليت) وتبعهم الزمخشري في قراءة النصب في (تنفعه

([1]) الخصائص ، لابن جني 312/1

([2]) البيت لعمران بن حطان وهو من الوافر ، انظر : الكتاب 375/2 ، وانظر : الخصائص 27/3 ، والمفصّل في صنعة الأعراب 176/1 وانظر البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي على بن مُحَمَّد بن العباس (ت : 400هـ) تحقيق : د.وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت ط 1 ، 1408 ، 143/5 ، والخزانة 337/5 .

([3]) الكتاب ، سيبويه 375/2

([4]) قراءة (فأطلع) . بالنصب . رواية حفص بن عاصم والباقون (فأطلعُ) بالرفع ، انظر : الحجة في القراءات السبع ، الحسين بن أحمد بن خالويه (ت:370هـ) ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ، ط4 ، 1401 هـ ، 315/1

([5]) سورة غافر ، الآيتان : (36 – 37)

) [1]من قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾ [2] فنصب (تنفعه) جواباً لـ (لعلّ) تشبيهاً للترجي بالتمني ، والبصريون يأبون ذلك . وأجاز بعض الكوفيين نصب الاسم والخبر جميعاً بـ " لعلّ " وبعضهم أجازه في (ليت) خاصة [3] وبذا يظهر أنّ من أجازه في " لعلّ " إنما حملها على " ليت " وذكر ابن هشام أن يونس زعم أنّ النصب بـ " لعلّ " لغة لبعض العرب وحكى : (لعلّ أباك منطلقاً) وتأويل ذلك عند ابن هشام على إضمار (يُوجد) ، وعند الكسائي على إضمار (يكون) [4]

وعلى ذلك التأويل فإنّ (منطلقاً) ليست خبراً لـ (لعلّ) بل هي مفعول ثانٍ لـ (يُوجد) على تقدير ابن هشام ، أو هي خبر يكون على تقدير الكسائي . ولم يرد من ذلك شيء في القرآن ، أي نصب الجميع بـ (لعلّ) ، وسمع رفع (لعلّ) للاسم في نحو : (لعلّ لها عذرٌ وأنت تلومُ) ، قيل هذا أول لحن سمع بالبصرة [5]، وهذا محتمل لتقدير ضمير الشأن كما في الحديث الشريف : (إنّ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون) [6] أي ، إنّه ، وعلى ذلك يكون التقدير ، لعله لها عذرٌ .

الجر بـ (لعلّ) في لغة عقيل :

الجر بـ (لعلّ) في لغة عقيل كأنه جريٌ على الأصل في عمل الحرف المخصوص بالاسم وهو (الجر) إلاّ أن يشابه الفعل فينصب [7]. ومن شواهد جر"

([1]) والنصب قراءة عاصم في المشهور والأعرج وأبي حيوة ، انظر : معاني القرآن ، أبو زكريا يحي بن زياد الفراء (ت : 207 هـ) ، عالم الكتب ، بيروت . لبنان / ط2 ، 1403هـ ، والبحر 427/8 .

([2]) سورة عبس ، الآية : 4

([3]) الجنى الداني 392/1 . 393

([4]) انظر : /غنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف ، جمال الدين ، أبن هشام (ت : 761هـ) تحقيق : د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، دار الفكر . دمشق ، ط6 ، 1985م ، 377

([5]) انظر : مغنى اللبيب ، لأبن هشام الأنصاري 378/1-379 .

([6]) الحديث رواه البخاري في باب اللباس ، رقم (89) ، وفي صحيح مسلم في اللباس والزينة برقم : (98).

([7]) الجنى الداني 26/1 .

لعلّ " للاسم ـ على هذه اللغة :

علّ صروف الدهر أو دولاتها يدلننا اللمة من لمتها [1]

وكذا قول الآخر :

ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعلّ أبي المغوار منك قريب[2]

غير أن بعضهم أنكر هذه اللغة وعدّ " لعلّ " في قوله : (لعلّ أبي المغوار) مخففة، واسمها ضمير الشأن ، واللام المفتوحة لام الجر ، ولأبي المغوار منك قريب جملة في موضع الخبر ، وردّ المرادي هذا التخريج وضعّفه من أوجه :

الأول – أنّ تخفيف (لعلّ) لم يسمع في هذا البيت .

الثاني – أنّ " لعلّ " لا تعمل في ضمير الشأن .

الثالث – أنّ فتح لام الجر مع الظاهر شاذ [يريد " لأبي "] [3]

قال ابن هشام : (ومن فتح " يريد لام لأبي " فهو على لغة من يقول : المال لزيد (بفتح اللام) وهذا تكلف كثير ولم يثبت تخفيف " لعل " ثم هو محجوج بنقل الأئمة أنّ الجر بـ " لعل " لغة قوم " بأعيانهم " [4]. يريد (بني عقيل) .

والذي يترجّح لديّ في هذه المسألة أنّ الجر بـ " لعلّ " أحسن ما يقال في تفسيره إنّه لغة فهذا يبعدنا عن التكلف والبحث عن الحجج التي قد تكون غير مقبولة لاسيما وأنّ اختلاف اللغات في العوامل أمر مسنود بالشواهد ، فقد جُروا بـ " كي " كما جرّت " هذيل " بـ " متى ", قال شاعرهم :

شربن بما البحر ثم ترفعت متى لججٍ خضرٍ لهن نئيج[5]

([1]) البيت ورد في مبحث (اللغات في لعلّ) من هذا البحث ، ووجه الاستشهاد به هنا هو عمل (لعل) الجرّ ، وفي تفسير جامع البيان بنصب (صروف) ، انظر : جامع البيان للطبري 378/21 ، وانظر : معاني القراءات للأزهري مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهري أبو منصور) ت: 370 هـ) ، مركز البحوث في كلية الآداب ، جامعة الملك سعود / ط1 /1412هـ ، 347/2.

([2]) البيت لكعب بن سعيد الغنوي ، يرثي أخاه هرما وكنيته " أبو المغوار " ، والشاهد فيه جر (أبي) بـ "لعلّ" وهي لغة "عقيل" ، انظر: الكشاف 456/1 ، وانظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : عبدالله بن عبدالرحمن العقيلي الهمزاني المصري (ت: 769هـ) ، بتحقيق : مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد ، دار التراث القاهرة ، ط2 /1400هـ 504/3 ، وانظر شرح الأشموني 454/1

([3]) انظر : الجنى الداني 586/1

([4]) انظر : مغني اللبيب ، لابن هشام 377/1.

([5]) البيت لأبي ذؤيب الهذلي يصف سحابة ، انظر : ديوان الهذليين بتحقيق أحمد الزين ومحمودأبو الوفا ، الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ، 1385هـ. 1985 م ، 52/1 ، وانظر : الخصائص 87/2 ، والدر المصون 601/10 والنئيج : الصوت العالي المرتفع ، والشاهد في

ونجدهم أطلقوا وقصروا وكلّ ذلك يؤكد سعة هذه اللغة ، وانتشار قبائلها وقوة السماع فيها .

المبحث الرابع:خبر لعلّ

أفردت لخبر لعلّ مبحثاً لما انفرد به خبر لعل على بقية أخبار الحروف الناسخة بعامة ولما اختص به هذا الخبر في لغة التنزيل ببعض القضايا بخاصة ، يضاف إلى ذلك أن خبر " لعلّ " غير مقطوع بوقوعه فهو موضع شك بخلاف خبر " إنّ " وأنّ[1].

وبالجملة فإنّ الناظر في خبر " لعل " في التنزيل يلحظ الآتي :

- **أولاً :** أنّ تقديم اسم " لعل " وتأخير خبرها لازم في جميع آي الذكر الحكيم خلافاً للاستثناء الحاصل في بقية النصوص ـ عدا القرآن ـ من نحو (لعلّ فيها ـ أوهنا ـ غير البذي) ، وإنمّا حتّم الترتيب ـ على الأصل ـ في النص القرآني كون خبر " لعلّ " في جميع الآيات لا يخرج عن أمرين :

الأول : أن يكون اسم " لعلّ " ضميراً متصلاً بـ " لعلّ " وهو الغالب إذ ورد ذلك في (ست وعشرين ومئة) آية ، من نحو (لعلّه – لعلّي ـ لعلّكم ـ لعلهم) وامتناع التقديم هنا ظاهر السبب .

الثاني : كون اسم " لعلّ " ظاهراً وخبرها جملة صريحة وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[2]وقوله تعالى : ﴿ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴾[3]،أو يكون الخبر مؤولاً بجملة [4]وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ

البيت قوله (متى لجج) ، حيث استعمل (متى) جارة على لغة قوم هذيل ، انظر : شرح بن غقيل عن ألفية ابن مالك ، مكتبة التراث ، طبعة 1420هـ ، 339-340.

([1]) انظر : النحو الوافي ، عباس حسن (ت : 1398 هـ) دار المعارف ، ط 15 ، 635/1.

([2]) سورة الشورى ، الآية : 17

([3]) سورة الطلاق ، الآية : 1

([4]) هذا الوجه اختاره صاحب الجدول في إعراب القرآن من بين وجوه أخرى وفيه تعليل لكون الساعة مؤنثاً وقريب ، مذكر، انظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، تصنيف : محمود صافي ، دار الرشيد – دمشق ط 4 ، 1421هـ ، 30/25.

قَرِيبٌ ﴾[1].

ثانيا : جواز تصدير خبر " لعلّ " بـ " أن " المصدرية نحو : (لعلك أن تسارع في الخيرات فتلق الجزاء) واقتران خبرها بـ "أنّ " حملاً على عسى كثيراً نحو:(لعلّك يوماً أن تلّم مُلمّةٌ)[2]. قال المبّرد : (فإن قال قائل في الشعر : لعلّ زيداً أن يقوم ، جاز ، لأن المصدر يدل على الفعل ،فمجاز المصدر هنا كمجاز الفعل في باب عسى).

وذكر البيت[3]. وكثرة الاقتران بحمله على " لعلّ " إنما هو بالنسبة لحرف التنفيس ، إذ يقترن خبر " لعلّ " بحرف التنفيس قليلاً بالنسبة إلى اقترانه بـ " أن " ومنه :

فقولا لها قولاً رقيقاً لعلّها سترحمني من زفرة وعويل [4]

وباستقراء خبر " لعلّ " في القرآن الكريم نجده لم يقترن بـ " أنّ " بل جاء على الغالب في عدم الاقتران بها إلا تاويلاً في قراءة النصب في (أطّلع)[5] من قوله تعالى : ﴿ لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾[6]عند من خرّج نصب (فأطلع) [بالنصب] على تقدير " أن " مع " أبلغ " خبر " لعلّ " إذ يعد عطفاً على خبر " لعلّ " " أبلغ " المقترن بـ " أن " معنى ، أي ، لعلّي أن أبلغ فأطلع ، وأغلب المعربين أن قراءة النصب في [فأطلع] لكونه وقع جواباً لـ " لعل" التي أشبهت " ليت " في التمنّي . على أن قراءة الجمهور (فأطلعُ) بالرفع[7].

([1]) سورة الشورى ، الآية : 17 .

(2) البيت لمتمم نويره اليربوعي ، وعجزه (عليك من اللائي يدعنك أجدعا) والشاهد فيه جواز اقتران خبر (لعلّ) بـ " أن" في الشعر ، انظر المفضليات ، للمفضل بن مُحمّد بن يعلي بن سالم الضبي (ت: 168هـ) تحقيق : أحمد مُحمّد شاكر ، وعبد السلام هارون دارالمعارف ، القاهرة ط 6 ، 270/1 ، وانظر المفصل للزمخشري 401/1

([3]) المقتضب ، للمبرد 74/3

([4]) البيت ورد في المغني بلا نسبة ، انظر : مغني اللبيب ، لأبن هشام 380/1 ، انظر : خزانة الأدب ، للبغدادي 345/5.

([5]) وهي قراءة الأعرج والسلمي وحفص ، انظر : الحجة في القراءات السبع 315/1 وانظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي مُحمّد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، (ت : 546هـ) تحقيق : المجلس العلمي بفاس 1407 هـ ، 560/4 وانظر : خزانة الأدب . 345/5

([6]) سورة غافر ، الآية : 36

([7]) انظر : تفسير الطبري 381/21 ، وحجة القراءات السبع 315/1 ، وانظر : الكشاف للزمخشري 167/4 ، وانظر : المفصل للزمخشري 400 .

- **ثالثاً :** وقوع خبر " لعلّ " ـ في غير القرآن ـ فعلاً ماضياً وهو جائز غير ممتنع ،ولكنه ليس في كثرة المضارع ، ومن الشواهد على وقوع الماضي خبراً لـ " لعلّ "قول الشاعر :

وبدّلت قرحاً دامياً بعد صحة لعلّ منايانا تحولن أبؤسا [1]

وقال الفرزدق من الطويل :

أعد نظراً يا عبد قيس لعلّما أضاءت لك النارُ الحمار المقيدا [2]

وجاء في الحديث أنّ الرسول ـ ﷺ ـ قال : (ما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم)[2].

وقد ذكر صاحب البرهان أن الرّماني نصّ على منع وقوع الماضي خبراً لـ " لعل" [3].

ولما كنا نؤصلّ لهذه الدارسة بمعالجة هذا الناسخ الحرفي " لعلّ " في القرآن الكريم بعرض أوضاعه وأحواله في النص القرآني بما في ذلك أحوال خبره ، فإنه قد تبين أنّ خبر " لعل " لم يأت ـ في جميع القرآن ـ فعلاً ماضياً ومع كون مجيئه ماضياً غير ممتنع ، غير أنه ليس في كثرة المضارع كما ثبت ذلك بالشواهد السابقة ، الأمر الذي يؤكد ـ على الدوام ـ مجيء النص القرآني وفق أقوى الوجوه وذلك وجه من وجوه إعجاز لغة التنزيل .

- **رابعاً :** لم ترد أخبار " لعلّ " في القرآن الكريم إلا جملاً عدا خمسة مواضع ورد الخبر في كل منها مفرداً وهي قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾

([1]) البيت من الطويل وهو لامرئ القيس ، وقد ورد في المبحث الثاني من هذه الدراسة شاهدا على مجيء : لعل " بمعنى الظن ، وهنا يعد شاهداً على وقوع خبر لعل فعلاً ماضيا وهو (تحولن) ، انظر : المبحث الثاني من هذا البحث .

([2]) البيت ورد في ديوان الفرزدق (فربما) بدل (لعلّما) وإن صحت روايته .كذلك . فلا شاهد فيه ، انظر ديوان الفرزدق ص 161 ، وانظر : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك 312/1 ، وانظر : شرح التصريح على التوضيح 316/1 ، وشرح شذور الذهب 361/1 ، والمفصل 389/1 ، والمغني 380/1 ، والشاهد فيه ورود الماضي (أضاءت) خبراً للعل وهو غير ممتنع .

([2]) الحديث في صحيح البخاري ، رقم (381) ، باب : إذا اضطر رجل إلى النظر في شعور أهل الذمة 76/4 ، وفي صحيح مسلم ، رقم (36) باب : فضائل أهل بدر (ﷺ)

([3]) انظر : البرهان ، للزركشي 395/4، وانظر : الإتقان ، للسيوطي 262/2

[4]وقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ ﴾ [5] وقوله تعالى : ﴿ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [6] ، وقوله تعالى ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [7] ، وقوله تعالى :﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴾ [8] ، وقد ورد في كل هذه المواضع مفرداً غير أن خبر لعل وقع اسم فاعل في ثلاثة مواضع من الخمسة مواضع وهي (تارك ، باخع ، مكررة) وصفة مشبهة في الآيــة الخامسة وهي كلمة (قريب) ، ومصدرا في آيـة الأنبياء : (فتنة).

ووقوع الخبر اسم فاعل في ثلاثة المواضع السابقة إنما يقربه من المضارع بخاصة ، فمضارعة المضارع لاسم الفاعل ثابتة دلالة وعملاً ، قال سيبويه:(وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة ، وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع الهمزة ، والتاء ، والياء ، والنون) .[1]

وقد ألمح المبّرد إلى ذلك حين فسر (يحكم) المضارع باسم الفاعل (حاكم) وهو يعرض لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [2] ، قال : أي، حاكم ، وعنده إنما دخلت اللام على المضارع تشبيهاً له بالاسم .[3]

أما وقوع الخبر كلمة " قريب " في سورة الشورى الآية السابعة عشر ، فقد جعل بعضهم [4] " قريب " خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (إتيانها) ، تحاشيا لتذكير خبر " لعلّ " " قريب " مع اسمها المؤنث (الساعة) ، ويبقى ـ بذا ـ خبر " لعل " ليس مفرداً بل جملة (إتيانها قريب) من المبتدأ والخبر ، أما كون الخبر مصدراً في (فتنة) فليس خافيا تأويل المصدر الصريح بـ (أن والفعل) .

---

[4]سورة هود : الآية : 12

[5]سورة الكهف ، الآية : 6

[6]سورة الأنبياء ، الآية : 111

[7]سورة الشعراء ، الآية : 3

[8]سورة الشورى ، الآية : 17

[1]الكتاب ، لسيبويه 14/1

[2]سورة النحل ، الآية : 124

[3]المقتضب ، للمبرد 374/3

[4]انظر : الجدول في إعراب القرآن ، 31/25

المبحث الخامس
" لعلّ " وإفادة التعليل في القرآن الكريم

وفيه مسألتان :

المسألة الأولي : " لعلّ " بمعنى (كي) في وسط الآي .

لم أشأ أن أعالج دلالات التعليل لـ " لعلّ " في موضعه في المبحث الثاني من هذه الدراسة ، وإنما أفردت لذلك مبحثاً قائما بذاته تظهر فيه خصوصية هذه الدلالة ، فالناظر في " لعلّ " في القرآن الكريم يجدها على ضربين ، ضرب ورد في وسط الآي من الذكر الحكيم ، ، وآخر ورد في فواصل الآيات ، وسوف لن أفصّل الحديث عن " لعلّ " بمعني " كي " في وسط الآي ؛ لأنها لم تشكل ظاهرة كما الحال في " لعلّ " التي ألمح المفسرون ومعربو القرآن فيها إلى معنى التعليل في وسط الآيات . قال الراغب : (لعلّ طمع وإشفاق... وفُسر في كثير من المواضع بـ كي) [1] ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [2]،فبالإضافة إلى دلالة الاستفهام التي أوردها الطبري في تفسيره ، فهي عند قوم دالة على التعليل مجردة من الشك بمعنى لام التعليل ، قال الأخفش : (وقال " لعله يتذكر " نحو قول الرجل لصاحبه " أفرغ لعلّنا نتغدّى " والمعنى : " لنتغدى " و(حتى نتغدّى)[3].
والذي عطف (فأطّلع) ـ في قراءة النصب ـ على (أبلغَ) بتقدير " أن " قبلها ، أي ، " لعلي أن أبلغَ " فكأنما جعل " لعلّ " بمعنى اللام التعليلية ، ونصب الفعل بأن مضمرة بعد لام التعليل أمر غير خافٍ .
و " لعل " بمعنى " كي " هو رأي الكوفيين وتبعهم الأخفش وحسنه الطبري وهو يعرض لتفسير الآية السابقة: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [4]ذاكراً أن قوماً حملوا

([1]) انظر مفردات الراغب 741/1 ، وانظر : لسان العرب 607/11

([2]) سورة طه ، الآية : 44 .

([3]) انظر : معاني القرآن ، أبو الحسن الأخفش الأوسط (ت : 215 هـ) ، تحقيق : د. هدى محمد قراعة ، مكتبة الخانجي. القاهرة ، ط 1 ، 1411 هـ ، 443/2

([4]) سورة طه ، الآية : 44

" لعلّ " على الاستفهام ، وبعضهم حملها على معنى " كي " قال:(.... ولكلا هذين القولين وجهٌ حسن ومذهب صحيح) [1] ، ودعم الذين يرون " لعلّ " بمعنى " كي " رأيهم بقول الشاعر :

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكفّ ووثقتم لنا كل موثق [2]

والمعنى : كفوا الحرب لنكفّ ، ولو كانت " لعل " هنا شكاً لم يوثقوا لهم كل موثق[3].

وإفادة " لعلّ " التعليل ظاهرة في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ ﴾ [4].فعلةُ جعل بضاعتهم في رحالهم ليعرفوا حقها فيرجعوا ردّاً للجميل الذي أسدى إليهم، نصّ على ذلك غير واحد من المفسرين .

المسألة الثانية : إفادة " لعلّ " التعليل في رؤوس الآي :

وقوع " لعلّ " في فواصل الآيات في القرآن الكريم أمر لافت ، وذلك بمجيئها ناسخاً حرفياً للجمل التي شكلت فواصل كثير من الآيات ، ولئن عدّ المفسرون واللغويون ومعربو القرآن إفادة التعليل معنى في " لعل " بعامّة فإن هذا القول يترجّح ويقوى في " لعلّ " الواقعة في رؤوس الآيات بخاصة . فبدراسة " لعلّ "في هذه المواضع يظهر الآتي :

- **أولاً :**
  ورود " لعلّ " في رؤوس الآيات والفواصل في خمسة عشر ومئة موضع من جملة ثلاثة وثلاثين ومئة موضع لـ " لعلّ " في جميع القرآن .
- **ثانياً** : ما وقع خبراً لـ " لعلّ " في هذه الفواصل من الأمور الممكنة المرجّوة الحصول ، بل مما يرغب فيه لجلب منفعة (دنيوية أو أخروية) نحو (تتذكرون ـ تتقون ـ تُرحمون ـ تسلمون ـ تشكرون ـ يهتدون ...) .

([1]) انظر : تفسير الطبري ، جامع البيان 314/18 .

([2]) البيت ورد في تفسير الطبري بلا نسبة ، وكذا أورده القرطبي دون أن ينسبه إلى أحد ، وورد في الحماسة البصرية بلا نسبة، انظر : تفسير الطبري، جامع البيان 364/1 ، وانظر : تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن 227/1 ، وانظر : الحماسة البصرية ، على بن أبي الفرج بن الحسن ، صدر الدين ، أبو الحسن البصري (ت"659 هـ) ، تحقيق مختار الدين أحمد ، عالم الكتب . بيروت ، 25/1

([3]) انظر : جامع البيان 364/1 ، وانظر الجامع لأحكام القرآن 227/1 .

([4]) سورة يوسف ، الآية : 62

- **ثالثاً :** سُبقت " لعلّ " بالإنشاء في نحو : (فليستجيبوا ـ ولينذروا ـ فاجعل لي) كما صدرت بـ الأخبار في نحو : (واتخذوا ـ إني آنست ناراً ...)
- **رابعاً :** عطفت الجمل التي صُدرت بـ " لعلّ " على ما قبلها في أحد عشر موضعاً جلها ـ أي الجمل السابقة ـ صدرت بلام التعليل ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[1] وهذا يشي ـ بجلاء ـ إلى التعليل في " لعلّ " في هذه المواضع . قال الزمخشري : (فقوله: ﴿ وَلِتُكۡمِلُواْ ﴾ علة الأمر بمراعاة العّدة ، و ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ﴾ علة ما علم من كيفية القضاء، " ولعلكم ﴿ تَشۡكُرُونَ ﴾ علة الترخيص والتيسير)[2].
- **خامساً** :كل الجمل الفعلية التي وقعت أخباراً لـ " لعلّ " في الفواصل تصلح تعليلاً لحكم يسبقها نحو : (لعلكم تتقون ، لعلهم يرجعون ، لعلكم تشكرون ، لعلهم يهتدون...) إذ يجوز تقديرها بـ : (لتتقوا ـ ليرجعوا ـ لتشكروا ـ ليهتدوا....) وهذا مما يقوى وجـه التعليل في " لعلّ " هنا خاصة .
- **سادساً** :مما سبق تبدو وجاهة مذهب من حمل " لعلّ " على التعليل في كثير من مواضعها في الذكر الحكيم ، وهو معنى أثبته الكسائي والأخفش [3] وحملاً على ذلك ما جاء في القرآن من نحو: ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[4] و ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[5] أي ، (لتشكروا وتهتدوا).

والذي أراه ـ والله أعلم ـ أنّ " لعلّ " في القرآن الكريم يترجح كونها للتعليل لا سيما في رؤوس الآي ، والتعبير عن الغاية ، وذلك لأن قصد التعليل واضح في هذه المواضع التي وردت فيها، وذكر ذلك غير واحد من أهل اللغة والمفسرين ، يقوي

([1]) سورة البقرة ، الآية 185

([2]) انظر : الكشاف للزمخشري 228/1

([3]) انظر : معاني القرآن ، للأخفش 443/2 ، وانظر : المغني 580/1

([4]) سورة البقرة ، الآية : 52

([5]) سورة البقرة ، الآية : 53

ذلك عدة أمور منها:

الأول : إنّ المفسرين ـ على اختلافهم ـ نصُوا على أن كلام الله ـ عز وجل ـ لا ينطبق عليه معنى الرجاء أو التمني أو الشك ، وحتى الذين قالوا بإفادة " لعلّ " الشك أو الرجاء في آيات بأعيانها إنما أوّلوا ذلك بتوجيهه إلى قصد المخاطب ، وقد ذكر سيبويه ومن تبعه ـ كما وضح في هذا البحث ـ في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [1]أي كونا على رجائكما في الخطاب ، إذ لا يجوز أن يكون اللهُ ـ جل وعلا ـ شاكا أو راجياً أو متمنياً فما شاء الله كان ، وكلامه مقطوع العلم به ؛ لذا ذهب كثير من المفسرين واللغويين إلى إفادة " لعل" التعليل في كلّ ذلك ونحوه .

الثاني : اتفاق قطبي النحو (البصرة والكوفة) في كون " لعلّ " تأتي للتعليل ، وقد ظهر ذلك في حمل الأخفش والكسائي " لعلّ " على التعليل بمعنى اللام أو حتى . تقول : اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك ، أي ، لتأخذه ، ووافق الأخفش والكسائي آخرون كما وضح في مباحث هذه الدراسة ، فحملوا " لعلّ " على " كي " مرة و " لام التعليل " مرة، و " متى " ثالثة .

الثالث : صحة التأويل بحمل " لعلّ " على التعليل ، إذ يجوز في نحو ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[2] و ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [3]ونحوه تقدير : (لتشكروا و لتهتدوا) فإن جاز ذلك فهو أولى من الرجاء ؛لأن هذا التقدير محل إجماع ، يدعم ذلك فهم العرب من نحو (افرغ لعلنا نتغدّى) ، أي ، " لنتغدى " ، وحتى الذين منعوا ذلك ـ مذهب الأخفش ـ فقد اضطروا أحياناً لحمل " لعلّ " على التعليل ، ففي قوله تعالى: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴾ [4]لم يجد أبو حيّان بُداً من القول : (وكأنه تعليل

([1]) سورة طه ، الآية : 44

([2]) سورة البقرة ، الآية : 52

([3]) سورة البقرة ، الآية : 53

([4]) سورة الشعراء ، الآية : 129

للبناء والاتخاذ)[1].

الرابع : ممـا يقرب كون " لعلّ " للتعليل فـي الفواصل أنّ بعضهم قرأ قوله تعالى : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾[2](كي تخلدون) [3]

الخامس : وهو وجه يسنده النظم القرآني ، فقد يقول قائل : إنّ للتعليل أدواته مثل (كي ولام التعليل) ، وللغاية أداتها (حتى الغائية) ويجوز استخدام هذه الأدوات مع كل فعل وردت معه " لعلّ " فلِم العدول عنها إلى لعلّ ؟

أقول ـ والله أعلم ـ إنّ " لعلّ " امتازت على (كي ، ولام التعليل ، و حتى) بما يؤهلها للدخول على هذه الأفعال بدلاً عنها تلك الميزة في " لعل " ثبات نون الرفع في الأفعال التي شكلت أخبارها (وهي الأفعال الخمسة) حال دخول " لعلّ " عليها الأمر الذي تحققت معه رعاية الفاصلة القرآنية في نحو (لعلكم تشكرون ـ لعلكم تهتدون ـ لعلكم تفلحون....) بينما لا يتحقق ذلك بدخول " كي " أو " اللام " أو " حتى " لأن النون تحذف منها علامة لنصب تلك الأفعال ، وهو الأمر ذاته الذي فسر به أكثر من لغوي ونحوي مقتضى التكرار في نحو قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[4]. قال الكرماني : (... كرّر لعل رعاية لفواصل الآي إذ لو جاء بمقتضى الكلام لقال ، لعلي أرجع فيعلموا بحذف النون عن الجواب ... فمقتضى الكلام لعلهّم يعرفونها فيرجعوا)[5].

وبذا تنفرد " لعلّ " في المواضع السابقة (رؤوس الآيات) بمزيتين اثنتين ، أما الأولى فمعنوية ، وهي إفادة التعليل ، وأما الثانية فلفظية وهي رعاية الفاصلة ، بينما (لام التعليل ، وكي ، وحتى) لا تحصل معها ـ بالضرورة ـ رعاية الفاصلة .

([1]) انظر : البحر المحيط ، لأبي حيان 178/8 .

([2]) سورة الشعراء : الآية 129

([3]) وهي قراءة عبد الله أوردها صاحب البحر المحيط ، انظر : البحر المحيط 178/8

([4]) سورة يوسف ، الآية : 62

([5]) انظر : أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم برهان الدين الكرماني (ت : 505 هـ) ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، مراجعة وتعليق : أحمد عبد التواب 149/1

الخاتمـــة

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا العمل المتواضع ، خدمة لكتاب الله ـ عز وجل ـ ولغة القرآن ، وإني لأرجو منه تعالى القبول وأن يرفد ما قدمت قضية التأصيل الذي ننشد ، كما أرجو أن يسهم هذا البحث في معالجة بعض قضايا " لعلّ " بالإجابة عن بعض الاستفهامات العالقة لا سيما عن ورود هذا الناسخ الحرفي في القرآن ، من نحو هل يجوز أن يكون من الله ـ عز وجل ـ الترجي أو الشك أو الإشفاق ؟ ثم كيف عالج المتقدمون من مفسرين ولغويين ومعربي القرآن هذه القضية.

ولقد جاءت هذه الدراسة كما ورد في مقدمتها في خمسة مباحث وخاتمة وخرجت بالنتائج التالية :

1/لا يجوز في حق الله ـ عز وجل ـ أن يكون متعجباً أو مشفقاً ، فلذا ذهب المفسرون واللغويون في تأويل دلالة " لعلّ " في التنزيل مذهبين :

الأول : صرّفها لمعانٍ ـ عدا الرجاء والإشفاق ـ كالتعليل ـ وهو الغالب ـ والاستفهام والتشبيه وغيره .

الثاني : صرف " الرجاء " فيها و " الإشفاق " إلى المخاطب الذي يدور بصدده الكلام وقد ظهر ذلك في آيات بأعيانها نحو قوله تعالى ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ الآية : 44 من سورة طه ، صرفوا دلالة " لعلّ " فيها إلى موسى عليه السلام وأخيه أي إذهبا برجائكما .

2/ لم ترد " لعل " ـ في جميع القرآن ـ إلا على لغة واحده من بين (اثنتي عشرة) لغة فيها ،اللهم إلا ما جاء من قراءة الفتح في " أنها " من قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ ، الآية 109 من سورة الأنعام ، فقد ذهب كثير من المفسرين ومعربي القرآن إلى "أن " هنا بمعنى " لعل " وهي لغة فيها .

3/ الغالب في" لعلّ " في القرآن ورودها في فواصل الآيات ورؤوسها ، فقد شكلت ناسخاً حرفياً في (خمسة عشر ومائة) موضع في رؤوس الآيات من جملة ثلاثة وثلاثين ومائة موضع لها في جميع القرآن وهو أمر عولج بالتفصيل في موضعه من

هذه الدراسة .

4/ لم يأت حبر " لعل " في جميع القرآن (فعلاً ماضياً) مع كونه غير ممتنع في سعة الكلام ولا في الشعر ، غير أنه ليس في كثرة المضارع ، مما يدل علي مجيء النص القرآني ـ دوما ـ على أقوى الوجوه في الاستخدام الفصيح .

5/ لم تلحق " نون الوقاية " لعل في كل موضع اتصلت فيه بالياء في القرآن الكريم ، جريا على الوجه الأقوى ، فجاءت كلها " لعلي " مع جواز " لعلني " في الكلام العربي (شعراً ونثراً) غير أن عدم الاقتران هو الأكثر .